

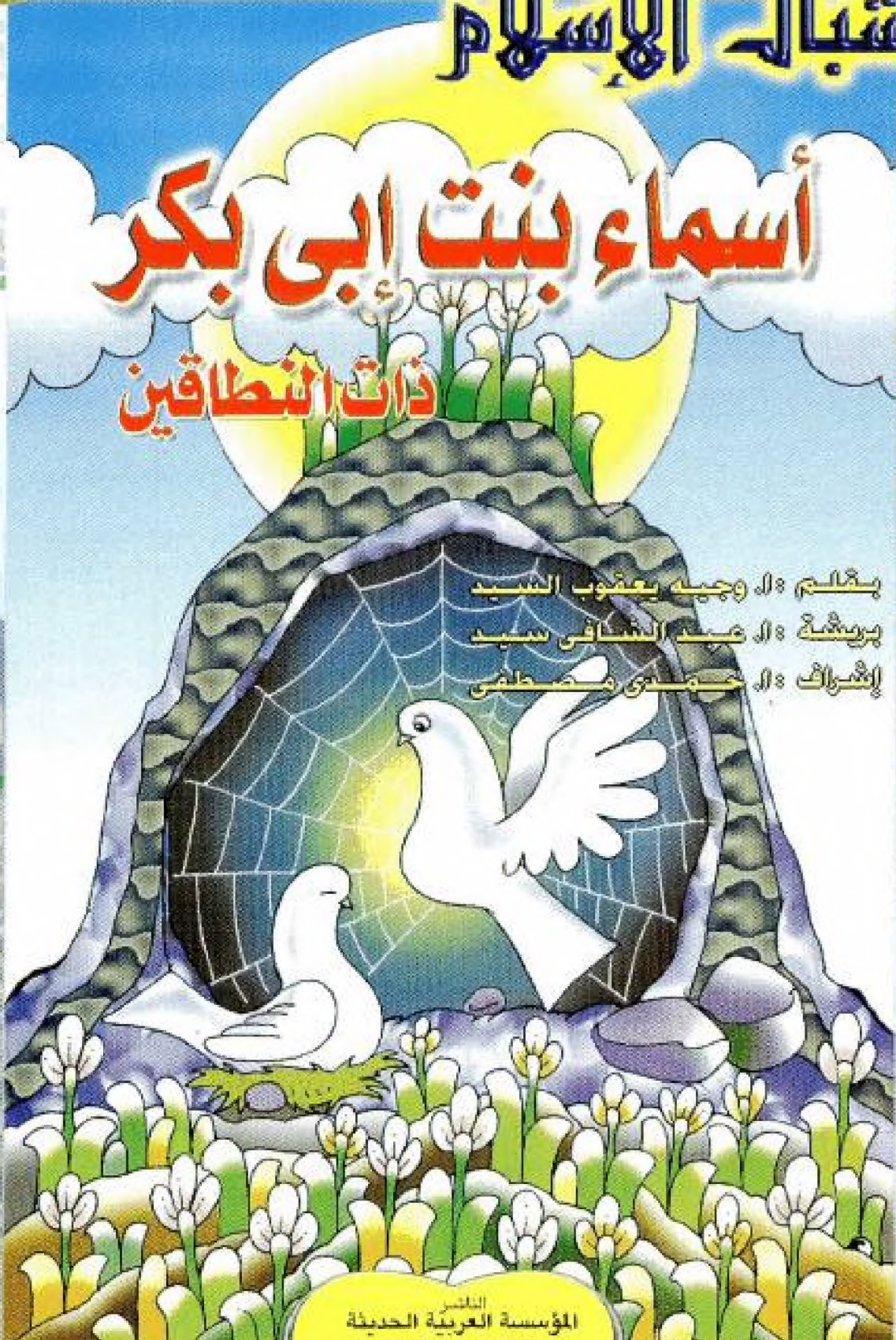
5

أَسْبَالُ الْإِسْلَام

# أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ

ذَاتُ الْنِطَاقَيْنِ

بِقَالِهِم : هُوَ وَجِيهٌ يَعْقُوبُ السَّيِّدِ  
بِرِيشَةٍ : هُوَ عَبْدُ الشَّافِيِّ سَيِّدِ  
إِسْرَافِيلَ : هُوَ عَبْدُ الْمُصْطَفَى



الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
الطبع والنشر والتوزيع  
٢٠٠٩ - ٢٠٠٩ - ٢٠٠٩  
فلس ٢٠٠٩



# أشبال الإسلام

5

«الطفولة، مرحلة مهمة للغاية، وهي ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الإنسان في شبابه وفي رجولته. وهي هذه السلسلة تطالع،

صوراً مختلفة للنبوغ والتفوق والبطولة الخارقة والرجولة المبكرة عند «أبطال صغار»، صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم، فكان من بينهم، العالم، والحداد الشجاع، وقائد الجيش.

إن الطفل الصغير يستطيع أن يعرف دوره في الحياة، من خلال ملاحظته لهذه النماذج المشرقة، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه.

وسوف يجد الطفل المتعة في أثناء قراءة هذه السلسلة التي كتبت بأسلوب قصصي مشوق ولغة أدبية شائعة.

وجيه يعقوب السيد

مدرس مساعد بكلية الآداب

جامعة عين شمس

## أسماء بنت أبي بكر

بقلم : أ. ووجيه يعقوب السيد

برئاسة : أ. عبد الشافي سيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
٢٥٨٦١٩٧ - ٢٥٨٦٥٥١ - ٢٥٨٦٥٥١  
فاكس : ٢٥٨٦٥٥١



هذه الفتاة الصغيرة ، كالوردة التي مازالت تفتح ، إذا ذكرت  
هجرة الرسول ﷺ ، ذكرها الجميع ، وتذكروا دورها الحيوي في  
هذا الحدث العظيم .

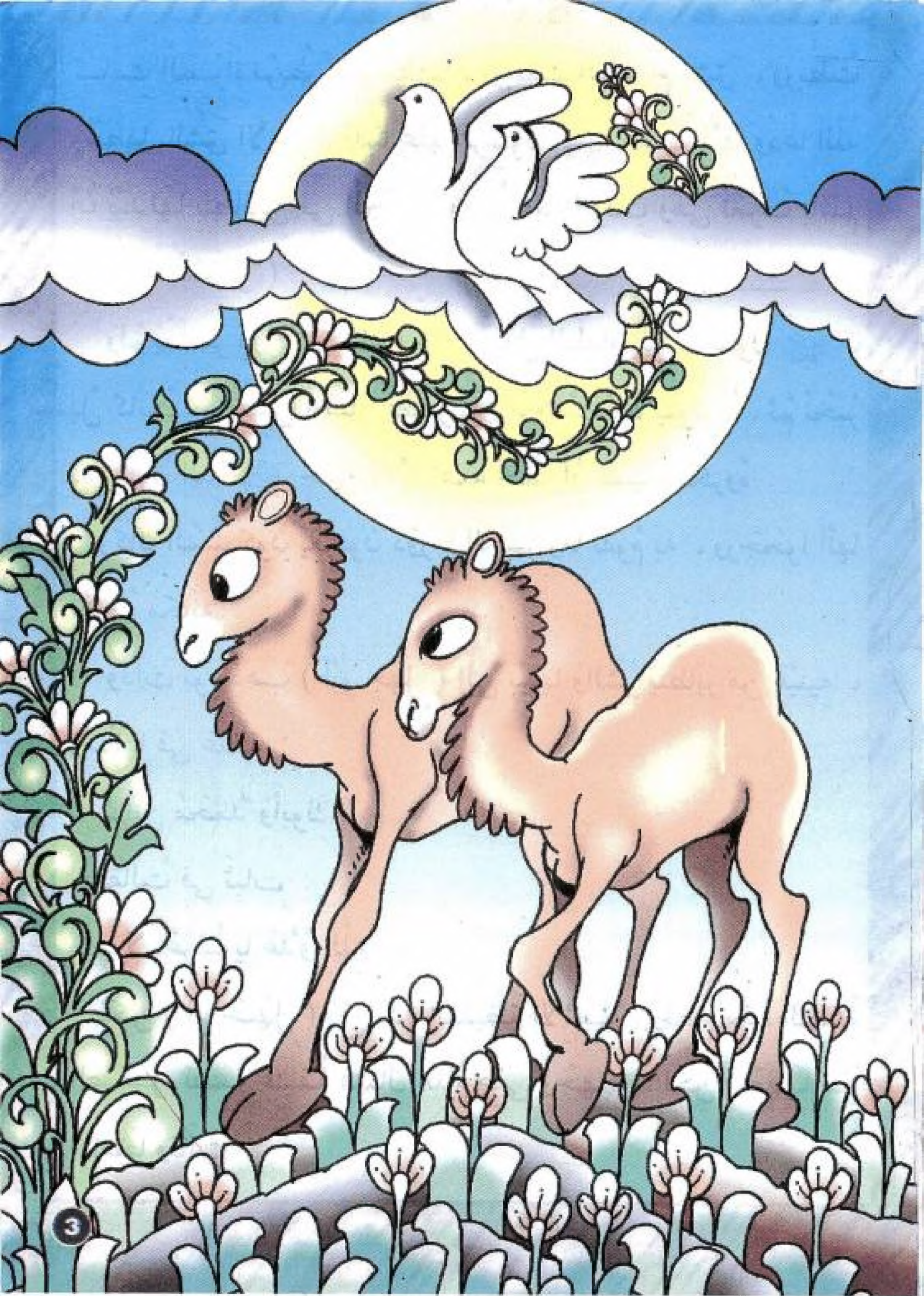
إنها ( أسماء بنت أبي بكر الصديق ) .. أو ذات النطاقين كما  
كانت تُلَقَّبُ .

بعد أن هاجر الرسول ﷺ هو وصاحبه ( أبو بكر ) من مكة  
إلى المدينة ، كانت ( أسماء ) تخرج مُتَخَفِّةً ، وهي تحمل  
الطعام والماء لرسول الله ﷺ وأبيها .

وعلى الرغم من بساطة هذا الأمر - كما يبدو - إلا أنه كان في  
غاية الأهمية لكي تتم هذه الهجرة بنجاح ، فقد كان الطريق من  
مكة إلى المدينة طويلاً وشاقاً ، ولكي يواصل الرسول ﷺ  
وصاحبه السير ، كان لابد لهما من زاد ، فكانت هذه الطفلة  
الصغيرة هي التي تطوعت للقيام بهذا الأمر ، مُعْرِضَةً حياتها  
للخطر في سبيل هذا الهدف النبيل .

والسر في تسميتها بذات النطاقين ، أنها كانت قد صنعت  
طعاماً للرسول ﷺ ، وبحثت عن شيء تربط به هذا الطعام فلم  
تجد ، وعندئذ شقت نطاقها شقين - والنطاق قطعة من القماش







كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَرْبِطُ بِهِ وَسَطَهَا - وَرَبَطَتِ الطَّعَامَ بِشِقِّ ، وَرَبَطَتْ  
وَسَطَهَا بِالشَّقِّ الْآخِرِ ، فَلَمَّا عَلِمَ الرَّسُولُ ﷺ أَثْنَى عَلَيْهَا وَدَعَا اللَّهَ  
أَنْ يُبَدِّلَهَا بِنِطَاقَيْنِ فِي الْجَنَّةِ . وَمُنْذُ هَذَا الْوَقْتِ وَهِيَ تُعْرَفُ بِاسْمِ  
( ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ ) .

وَلَمْ يَقْتَصِرْ دَوْرُ ( أَسْمَاءَ ) عَلَى حَمْلِ الطَّعَامِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ ،  
بَلْ كَانَتْ تَسْتَقْصِي أَخْبَارَ الْمُشْرِكِينَ ، وَتَسْمَعُ مَا يَقُولُونَهُ ، ثُمَّ تُخْبِرُ  
بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى لَا يُدَاهِمَهُ خَطَرٌ أَوْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ .  
وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْرِفُونَ دَوْرَهَا الْكَبِيرَ وَمَا تَقَوْمُ بِهِ ، وَرَجَّحُوا أَنَّهَا  
تُعْرَفُ مَكَانَهُ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ذَهَبَ ( أَبُو جَهْلٍ ) إِلَى بَيْتِهَا وَالشَّرُّ يُتَاطَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ ،  
وَسَأَلَهَا فِي غِلْظَةٍ :  
- أَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأَبُوكِ ؟  
فَقَالَتْ فِي ثَبَاتٍ :  
- لَا أَعْرِفُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ .

لَكِنْ ( أَبَا جَهْلٍ ) رَفَعَ يَدَهُ الْغَلِيظَةَ الْأَثِمَةَ ، وَلَطَمَ هَذِهِ الطُّفْلَةَ  
الصَّغِيرَةَ لَطْمَةً عَنِيفَةً فَسَالَ الدَّمُّ عَلَى وَجْهِهَا . لَكِنْ وَجْهَهَا ظَلَّ  
شَامِخًا وَقَالَتْ :







- أَتَضْرِبُ امْرَأَةً غَابَ عَنْهَا أَهْلُهَا أَيُّهَا الْجَبَانُ ؟!

فَانْصَرَفَ ( أَبُو جَهْلٍ ) مُطَاطِئِ الرَّأْسِ يُحِيطُهُ الْخَجَلُ وَالْعَارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَقَدْ كَانَتْ أَخْلَاقُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرْفُضُ أَنْ تَمْتَدَّ يَدُ الرَّجُلِ إِلَى النِّسَاءِ ، لَكِنْ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ تَجَرَّدَ مِنْ مَرْوَعَتِهِ وَنَخْوَتِهِ . وَبَقِيَتْ ( أَسْمَاءُ ) صَامِدَةً ثَابِتَةً فِي كُلِّ مَوَاقِفِهَا .

وَمَرَّتِ الْعَاصِفَةُ بِسَلامٍ . . وَبِرَغْمِ مَا كَانَ بِهَا مِنْ آلامٍ وَجَرَاحٍ لَا يَتَحَمَّلُهَا جَسَدُهَا النَّحِيلُ ، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَشْعُرُ بِالْإِرْتِيَاحِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ، لِأَنَّهَا أُودِيتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَتَابَعَتْ أَدَاءَ مِهْمَتِهَا وَهِيَ تَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى :

﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ .

( العنكبوت : ٢ و ٣ )

وَإِذَا كَانَتْ ( أَسْمَاءُ ) تِلْكَ الْفَتَاةَ الصَّغِيرَةَ الْمُؤْمِنَةَ ، الَّتِي تَرَبَّتْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَنَشَأَتْ فِي ظِلِّ تَعَالِيمِهِ ، قَدْ تَصَرَّفَتْ بِمِثْلِ هَذَا الثَّبَاتِ وَهَذِهِ الشَّجَاعَةِ مَعَ ( أَبِي جَهْلٍ ) ، فَقَدْ كَانَ لَهَا مَوْقِفٌ آخَرُ







مع جدّها ، الذى كان مُشْرِكًا فى أثناء هِجْرَةِ أبيها مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقد تَصَرَّفَتْ بِذَكَاءٍ شَدِيدٍ فى هذه المَرَّةِ .

كان جدّها رجلاً كَفِيفَ البَصَرِ طاعِنَ السِّنِّ ، وَعِنْدَما هاجرَ ابنُه (أَبوبَكْرٍ) أَخَذَ مالَه لِكى يُنْفِقَهُ فى سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إلى اللَّهِ ، وَلَمْ يَبْقَ لِأَبْنائِهِ سِوَى القَلِيلِ مِنَ المَالِ . فدخلَ هذا الجَدُّ على (أَسْماءَ) وإخوتها وقالَ فى غَضَبٍ :

- واللّه ، إنى لأراهُ قد فَجَعَكُم بِمالِه ، كما فَجَعَكُم بِنَفْسِه ، ولا شَكَّ أَنَّهُ هاجرَ وأخذَ مالَه وأنفَقَهُ على مُحَمَّدٍ وَأَصْحابِه ، بَيْنَما تَرَكَكُم بِلا مالٍ .

لكنَّ (أَسْماءَ) التى كانَ الإسلامُ يَمْلأُ قَلْبَها قالتَ فى ثباتٍ وَذَكَاءٍ :

- كَلّا يا أبتِ ، إِنَّه قد تَرَكَ لَنا خَيْرًا كَثِيرًا .

وَأَرادَ جَدُّها أَنْ يَتأكَّدَ مِنْ صِدْقِها فقالَ :

- إِذَنْ أَصْحَبِينِى لِكى أَتَحَسَّسَ مَوْضِعَ المَالِ الَّذى يَضَعُ أَبوكُمُ فِيهِ أَمْوالَهُ .

وَبَدَونَ أَنْ يُلَاحِظَ الجَدُّ ، وَضَعَتْ (أَسْماءُ) حِجارَةً صَغيرةً فى أَكْيَاسٍ وَأَغْلَقَتَها ، ثُمَّ وَضَعَتَها فى المَكانِ الَّذى كانَ أَبوها يَضَعُ







فيه المال ، ثم أخذت جدّها إلى هذا المكان فتحسّن موضع  
المال بيده وقال :

- لا بأس .. إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا  
ما يكفيكم .

وفي حقيقة الأمر ، لم يكن ( أبو بكر ) قد ترك لأبنائه شيئاً  
يذكر ، بل أخذ كل ماله وأعطاه للرّسول ﷺ لكي يُنفقه على  
الدّعوة ، ولم يترك لأولاده إلا جزءاً يسيراً .

وعندما سأله الرّسول ﷺ :

- ماذا تركت لأهلك يا ( أبا بكر ) ؟

أجاب ( أبو بكر ) في يقين :

- تركت لهم الله ورسوله .

وما أروع هذه الإجابة وأعَمَقَها . وقد كانت ( أسماء ) تعيها  
وتدرك حقيقتها ومعناها هي وسائر إخوتها ، لذلك لم يشعروا في  
آية لحظة بالحاجة إلى المال ، لأنهم كانوا على ثقة بأن الله  
الذي خلق الإنسان ومنحه الحياة هو وحده القادر على أن يمنحه  
الرّزق والمال .







ولذلك فقد كان ( أبو بكر الصديق ) من أحب الناس وأقربهم  
إلى قلب النبي ﷺ . فعندما سئل النبي ﷺ عن أحب الناس  
إليه أجاب :  
- ( أبو بكر ) .

وعندما كبرت ( أسماء ) وبلغت سن الزواج ، تقدم الصحابيُّ  
الجليل ( الزبير بن العوام ) للزواج منها ، وهو ابن عمّة الرسول ﷺ  
وأحد العشرة المبشرين بالجنة .

كان ( الزبير ) في بادئ أمره فقيرًا ، فكانت ( أسماء ) نعم  
الزوجة الصابرة الصامدة ، التي لا طمّوح لها سوى العيش في  
إيمان وحبٍّ ووفاء .

وتحمّلت ( أسماء ) مع زوجها صعوبة الحياة وقسوتها ، إلى أن  
صار من أكثر الصحابة ثراءً وغنى .

وبعد فترة من هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ، هاجرت ( أسماء )  
هي وزوجها ، وكانت في شهور حملها الأخيرة ، ولم يمنعها الحملُ  
ولا الأمه من تحمّل مشاق الرحلة الطويلة ، وذلك لكي تعيش في  
مجتمع إسلامي يسوده البرُّ والرحمة ، ويغمره العدل والوفاء .







وفى المدينة المنورة وضعت ( أسماء ) مولودها الأول ( عبد الله بن الزبير ) وكان أيضاً أول مولود يولد للمسلمين بعد هجرتهم إلى المدينة . كانت ( أسماء ) من المسلمات اللاتي لا يعرفن الضعف أبداً ، فقد كانت القوة والصلابة هي أهم صفاتها ، وخاصة إذا كانت هذه القوة في الحق .

ف ذات يوم قدمت عليها أمها بهدية قيمة ، وكانت مشركة ، وأرادت أن تقبلها منها ، لكنها رفضت أن تقبل هديتها ، بل رفضت أن تدخلها بيتها .

وعندما سألت السيدة ( عائشة ) الرسول ﷺ عن موقف ( أسماء ) من أمها ، لامها وأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها . ونزل قوله تعالى :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

( الممتحنة : ٨ )

وتعلمت ( أسماء ) الدرس ، ففتحت بابها لأمها وحاولت جاهدة أن تشرح لها الإسلام وما يدعو إليه الرسول ﷺ







مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَالْحَضْرَ عَلَى الْفَضِيلَةِ .  
كَانَتْ ( أَسْمَاءُ ) كَرِيمَةً جَوَادًا ، تَجُودُ بِمَا تَمْلِكُ ، وَتَتَصَدَّقُ  
عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .





وقد حكى ابنها ( عبد الله بن الزبير ) عن جودها قائلاً :  
- ما رأيتُ امرأتين أجودَ من خالتي ( عائشة ) وأُمِّي ( أسماء )



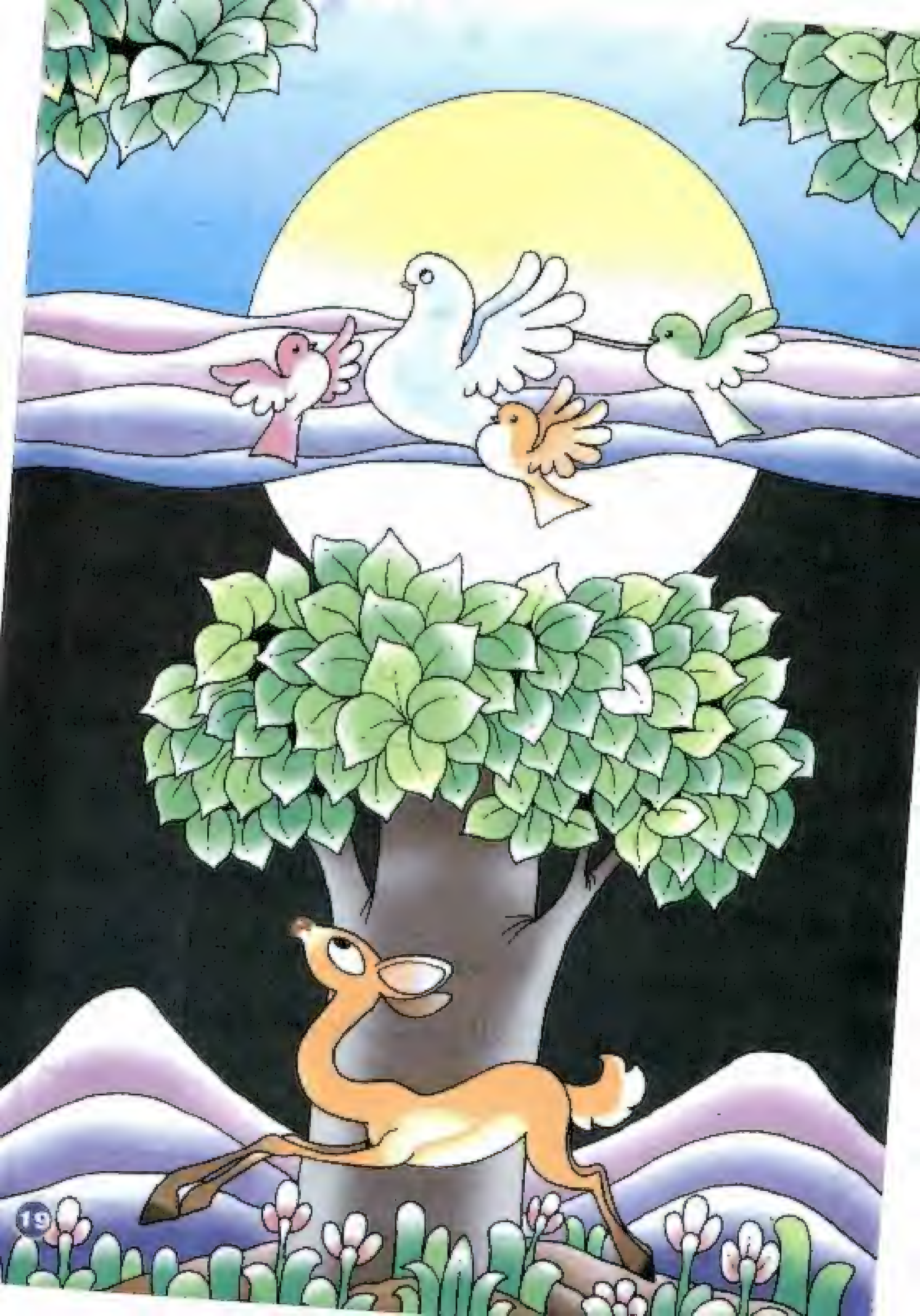


لكنَّ جُودَهُمَا كَانَ مُخْتَلِفًا : أَمَّا خَالَتِي فَكَانَتْ تَجْمَعُ الشَّيْءَ  
 إِلَى الشَّيْءِ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَهَا مَا يَكْفِي ، قَسَمَتْهُ بَيْنَ ذَوِي  
 الْحَاجَاتِ ، وَأَمَّا أُمِّي فَكَانَتْ لَا تُمْسِكُ شَيْئًا إِلَى الْغَدِ .  
 وَإِذَا كَانَتْ ( أَسْمَاءُ ) ثَابِتَةً صَامِدَةً مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمْ تَضْعُفْ  
 أَمَامَ ( أَبِي جَهْلٍ ) ، كَمَا لَمْ تَضْعُفْ أَمَامَ جَدِّهَا الْعَاجِزِ الْكَفِيفِ ،  
 وَإِذَا كَانَتْ صَامِدَةً مَعَ زَوْجِهَا ( الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ) أَمَامَ قَسْوَةِ الْحَيَاةِ  
 وَصُعُوبَتِهَا ، فَقَدْ تَجَلَّى ثَبَاتُهَا وَشَجَاعَتُهَا فِي مَوْقِفِ قَلَمٍ يَصْمُدُ فِيهِ  
 الرُّجَالُ أَوْ الْأَبْطَالُ ، فَمَا بِأَلَكِ بَامْرَأَةٍ مُسِنَّةٍ ، بَلَغَتْ مِنَ الْعُمْرِ أَرْذَلَهُ ،  
 وَضَاعَ نَوْرَ بَصَرِهَا ؟

وَمَا بِأَلَكِ لَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِمَصِيرِ ابْنِهَا الْمُجَاهِدِ ( عَبْدِ اللَّهِ  
 ابْنِ الزُّبَيْرِ ) الَّذِي أَحَبَّتْهُ مِنْ كُلِّ قَلْبِهَا ، وَتَمَنَّتْ أَنْ تَرَاهُ حَاكِمًا  
 يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَإِذَا بِجُيُوشِ الظُّلْمِ وَالْعُدُوَانِ  
 تَغْتَالُهُ فِي الْحَرَمِ !؟

إِنَّ الْحِكَايَةَ تَبْدَأُ عِنْدَمَا بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ ( عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ) لِكَيْ  
 يَكُونَ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ مَوْتِ ( يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ) .







وَحَضَعَتْ لِسُلْطَانِهِ بِلَادَ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمُعْظَمَ الدُّوَلِ  
الْأُخْرَى .

لَكِنْ بَنَى أُمَيَّةَ رَفَضُوا رَفْضًا قَاطِعًا أَنْ يُصْبِحَ ( عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ )  
خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَرَّرُوا أَنْ يُحَارِبُوهُ وَيَجْبِرُوهُ عَلَى التَّنَحِي عَنْ السُّلْطَةِ .  
وَبَعَثَ بَنُو أُمَيَّةَ جَيْشًا كَبِيرًا لِقِتَالِ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ) يَقُودُهُ  
( الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ الثَّقَفِيُّ ) الطَّاعِيَةُ الْمَعْرُوفُ .

وَدَارَتْ مَعْرَكَةٌ عَنِيفَةٌ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ ، لَكِنْ كَثُرَ عَدَدُ جَيْشِ  
الْحَجَّاجِ أَرْهَبَتْ جُنُودَ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ) ، فَهَرَبَ عَدَدٌ كَبِيرٌ  
وَتَرَكُوهُ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِوَى عَدَدٍ ضَعِيفٍ لِلْغَايَةِ ، مِنْ الصُّعْبِ أَنْ  
يَصْمُدَ أَمَامَ ( الْحَجَّاجِ ) وَجُنُودِهِ .

وَلِذَلِكَ فَقَدْ احْتَمَى ( عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ) هُوَ وَمَنْ مَعَهُ بِالْكَعْبَةِ ،  
فَهِيَ الْمَكَانُ الْأَمِينُ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ فِيهِ الْقِتَالَ . وَأَرَادَ ( عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ الزُّبَيْرِ ) أَنْ يَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ ، وَيَسْتَشِيرَ أُمَّهُ ( أَسْمَاءَ ) فِيمَا  
يَفْعَلُهُ ، وَكَانَتْ تَسْكُنُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَتْ لَهُ فِي لَهْجَةٍ  
حَاسِمَةٍ :-

جِئْتَ تَسْتَشِيرُنِي فِي مَاذَا ؟







فَقَالَ ( عَبْدُ اللَّهِ ) :

- لَقَدْ خَذَلَنِي أَنْصَارِي ، وَأَنْحَازُوا عَنِّي رَهْبَةً مِنَ الْحِجَّاجِ أَوْ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ مِنْ رِجَالِي ، وَهُمْ لَنْ يَصْبِرُوا طَوِيلًا ، وَرَسُولُ بَنِي أُمَيَّةَ يَفَاوِضُونَنِي عَلَى أَنْ يُعْطُونِي مَا شِئْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، إِذَا أَنَا أَلْقَيْتُ السَّلَاحَ ، وَيَايَعْتُ ( عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ) . فَمَاذَا تَرَيْنَ ؟

وَمَا إِنْ أَتَمَّ كَلَامَهُ حَتَّى أَجَابَتْهُ أُمُّهُ قَائِلَةً :

- الشَّأْنُ شَأْنُكَ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ ، وَتَدْعُو إِلَى حَقٍّ ، فَاصْبِرْ وَجَاهِدْ كَمَا صَبَرَ أَصْحَابُكَ الَّذِينَ قُتِلُوا تَحْتَ رَايَتِكَ . وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الدُّنْيَا ، فَلَبِئْسَ الْعَبْدُ أَنْتَ ! أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ ، وَأَهْلَكْتَ رِجَالَكَ .

فَقَالَ ( عَبْدُ اللَّهِ ) :

- وَلَكِنِّي مَقْتُولٌ الْيَوْمَ لَا مَحَالَةَ .

فَأَجَابَتْهُ :

- ذَلِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُسَلَّمَ نَفْسُكَ لِلْحِجَّاجِ مُخْتَارًا .







فَقَالَ :

- لَسْتُ أَخْشَى الْقَتْلَ ، وَإِنَّمَا أَخَافُ أَنْ يَمُتُوا بِجَسَدِي بَعْدَ مَوْتِي .

فَابْتَسَمَتْ ( أَسْمَاءُ ) وَقَالَتْ :

- لَيْسَ بَعْدَ الْقَتْلِ مَا يَخَافُهُ الْمَرْءُ . فَالْشَّاةُ لَا يَضُرُّهَا السَّلْخُ بَعْدَ

أَنْ تُذْبَحَ يَا بُنَيَّ !

هَزَّ ( عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ) رَأْسَهُ مُوَافِقًا ، وَقَالَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى

مَصِيرِهِ فِي رِضًا وَاسْتِسْلَامٍ :

- بُورِكْتَ مِنْ أُمٍّ . فَأَنَا مَا جِئْتُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَسْمَعَ

مِنْكَ مَا سَمِعْتُ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّي مَا وَهَنْتُ وَمَا ضَعُفْتُ ، وَهُوَ

الشَّهِيدُ عَلَى أَنَّي مَا قُمْتُ بِمَا قُمْتُ بِهِ حُبًّا فِي الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ، وَإِنَّمَا

غَضَبًا لِلَّهِ أَنْ تُسْتَبَاحَ مَحَارِمُهُ . فَإِذَا أَنَا قُتِلْتُ فَلَا تَحْزَنِي وَسَلِّمِي

الْأَمْرَ لِلَّهِ .

فَقَالَتْ ( أَسْمَاءُ ) :

- إِنَّمَا أَحْزَنُ عَلَيْكَ لَوْ قُتِلْتَ فِي بَاطِلٍ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

جَعَلَكَ عَلَى مَا يُحِبُّ وَأُحِبُّ .







وعندما أراد ( عبدُ الله ) أنْ ينصرفَ ويخرجَ لمُلاقاةِ جُنْدِ  
الحِجَّاجِ ، نادَتْهُ أُمُّهُ فِي حَنَانِ الْأُمُومَةِ وَعَاطَفَتِهَا وَقَالَتْ :  
- اقْتَرِبْ مِنِّي يَا بُنَى ، لِأَتَشَمَّمَ رَائِحَتَكَ وَأَلْمَسَ جِلْدَكَ ، فَقَدْ  
يَكُونُ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ .

فأسرَعَ ( عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ ) نَحْوَهَا ، وَرَاحَ يَقْبَلُ يَدَيْهَا  
وَرَأْسَهَا ، ثُمَّ خَرَجَ مُسْرِعًا لِكَيَّ يُوَاصِلَ جِهَادَهُ ضِدَّ ( الْحِجَّاجِ )  
وَجِيُوشِهِ ، بَيْنَمَا كَانَتْ أُمُّهُ تَرْفَعُ يَدَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ وَتَدْعُو لَهُ فِي  
خُشُوعٍ بِقَوْلِهَا :

« اللَّهُمَّ ارْحَمْ طُولَ قِيَامِهِ وَشِدَّةَ نَحْيِهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ .  
اللَّهُمَّ ارْحَمْ جُوعَهُ وَظَمَاءَهُ فِي هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَهُوَ صَائِمٌ .  
اللَّهُمَّ ارْحَمْ بَرَّهُ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ .

إِنِّي قَدْ سَلَّمْتُهُ لِأَمْرِكَ ، وَرَضَيْتُ بِمَا قَضَيْتَ لَهُ ، فَأَتْبِنِي عَلَيْهِ  
ثَوَابَ الصَّابِرِينَ » .

وَإِذَا كَانَ ( عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ ) يَبْدُو فِي هَذَا الْمَوْقِفِ شُجَاعًا  
فَوْقَ الْعَادَةِ وَبَطْلًا مِنْ طِرَازِ فَرِيدٍ ، فَإِنَّ الْأَكْثَرَ مِنْهُ شَجَاعَةٌ وَبُطُولَةٌ  
هِيَ أُمُّهُ الْعَظِيمَةُ ( أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ) .







فَقَدْ كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ ابْنَهَا سَيَمُوتُ إِنَّهُ هُوَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَثَّتْهُ عَلَى الْخُرُوجِ دِفَاعًا عَنِ الْمَظْلُومِينَ وَالْمَقْهُورِينَ ، وَانْتِصَارًا لِلْمَبَادِي وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ .

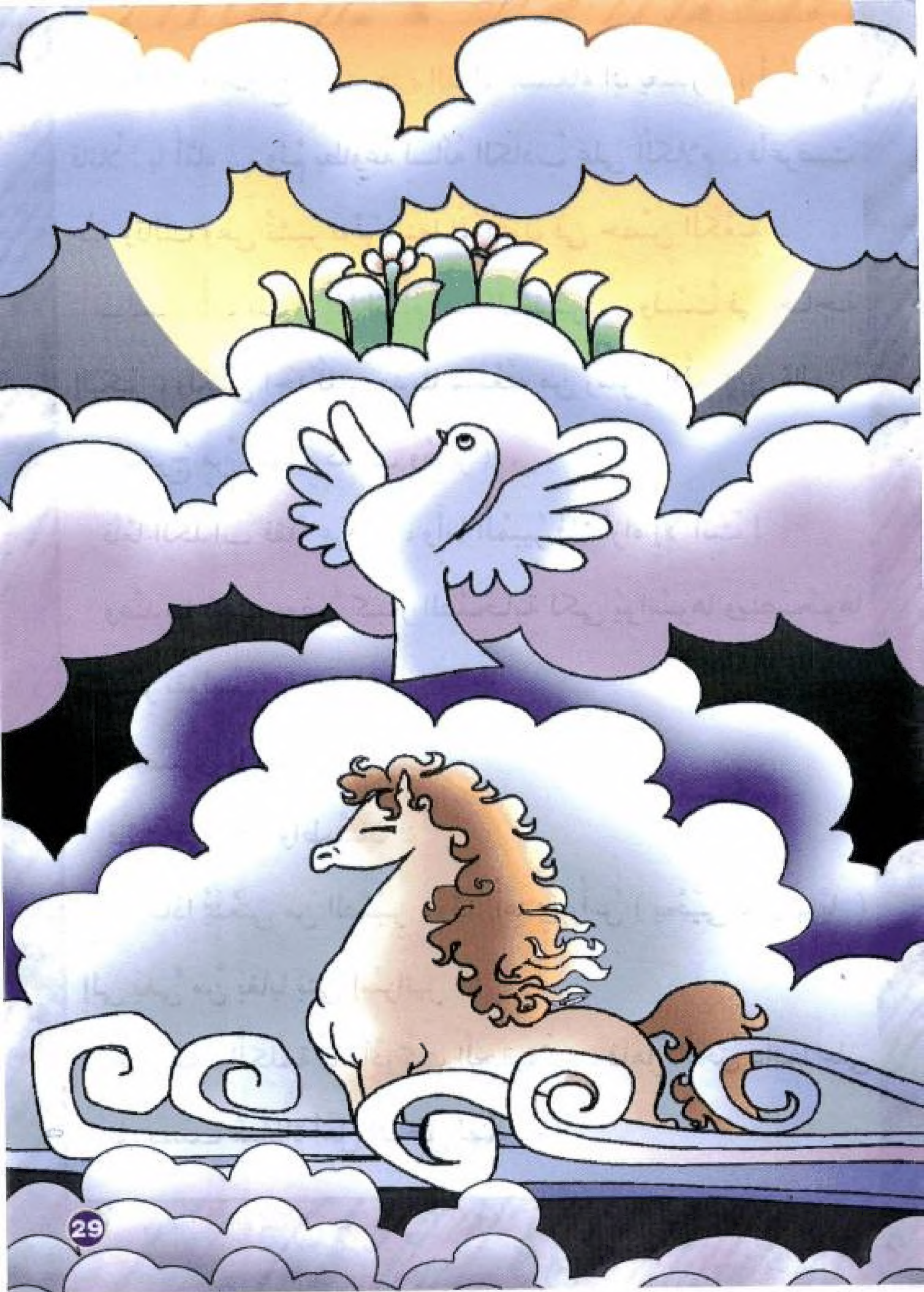
لَقَدْ كَانَتْ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ ابْنَهَا سَيَمُوتُ ، لَكِنَّهَا كَانَتْ عَلَى يَقِينٍ أَيْضًا أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي سَيَمُوتُ مِنْ أَجْلِهِ لَنْ يَمُوتَ ! بَلْ إِنَّهَا كَانَتْ تَرَى أَنَّ مَوْتَ ابْنِهَا دِفَاعًا عَنِ الْحَقِّ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي إِيقَاطِ ضُمَائِرِ الْأَمْوَاتِ ، وَبَعَثِ الْهِمَمِ فِي نُفُوسِ النَّاسِ مِنْ جَدِيدٍ .

أَلَمْ نَقُلْ : إِنَّ حَيَاتَهَا كُلَّهَا كَانَتْ ثَبَاتًا عَلَى الْحَقِّ وَصُمُودًا وَرُجُولَةً ؟ !

وَقَدْ احْتَسَبَتْ ( أَسْمَاءُ ) بِنْتُ ( أَبِي بَكْرٍ ) ابْنَهَا الْبَارَّ بَعْدَ أَنْ اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى يَدِ جُنُودِ ( الْحَجَّاجِ ) .

وَلَمْ تَبْكِ ( أَسْمَاءُ ) وَلَمْ تَجْزَعْ ، بَلْ صَبَرَتْ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ ، فَقَدْ مَاتَ ابْنُهَا مَرْفُوعَ الرَّأْسِ ، شَهِيدًا فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ ، وَهُوَ يُدَافِعُ عَنْ حُرُمَاتِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي اتَّهَكَّهَا بَعْضُ حُكَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ ، مَاتَ وَهُوَ يَدَافِعُ عَنْ حَقِّهِ فِي الْخِلَافَةِ حَيْثُ اخْتَارَهُ الْمُسْلِمُونَ وَبَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ .







وحاولَ ( الْحَجَّاجُ ) بعدَ هذهِ الفَعْلَةِ الشَّنْعَاءِ أَنْ يَعْتَذِرَ لـ ( أَسْمَاءَ )  
قائلًا : يَا أُمَّاهُ .. وَلَمْ يَطَاوِعْهُ لِسَانُهُ الْكَاذِبُ عَلَى الْكَلَامِ ، فَأَعْرَضَتْ  
عَنْهُ وَقَالَتْ وَهِيَ تُشِيرُ نَحْوَ ابْنِهَا الْمَقْتُولِ فِي حِضْنِ الْكُعْبَةِ :  
- لستُ أُمًّا لَكَ ، إِنَّمَا أَنَا أُمُّ هَذَا الْمَقْتُولِ ، وَلستُ فِي حَاجَةٍ  
إِلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَحَدْتُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ :  
( يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ ) .

فَإَمَّا الْكَذَّابُ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا أَرَاهُ إِلَّا أَنْتَ !  
وَعِنْدَمَا ذَهَبَ بَعْضُ كِبَارِ الصَّحَابَةِ لِكِي يُوَاسُّوْهَا وَيُنْصَحُوْهَا  
بِالصَّبْرِ بِقَوْلِهِمْ :

- اصْبِرِي يَا أُمَّاهُ !

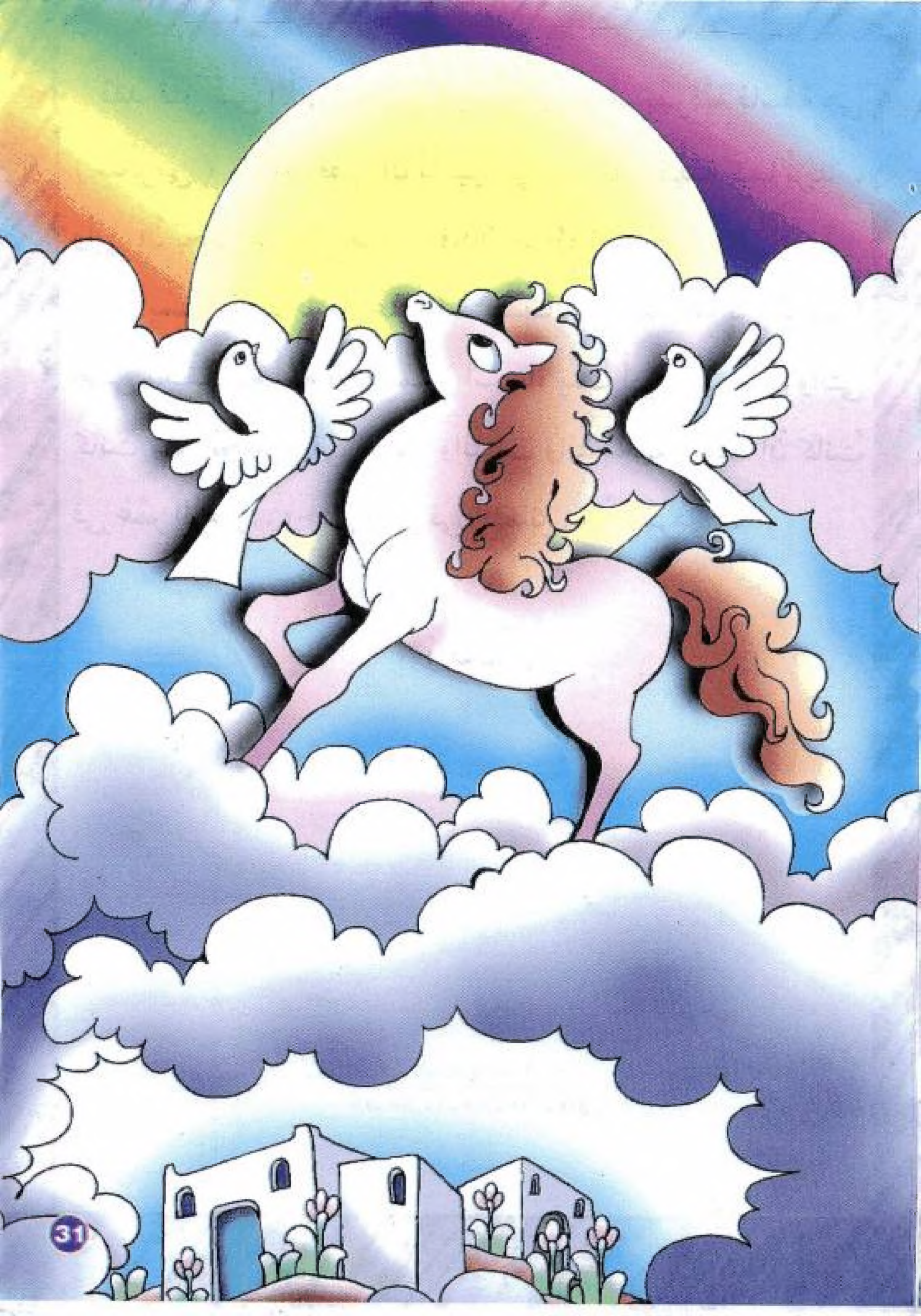
قَالَتْ فِي رِضًا وَاطْمِئْنَانٍ :

- وَمَاذَا يُنْعِنِي مِنَ الصَّبْرِ ، وَقَدْ أُهْدِيَ رَأْسُ ( يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا )

إِلَى بَغْيٍ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟!

إِنِّهَا بِهِذِهِ الْكَلِمَةِ قَدْ أَدْرَكَتِ الْحَقِيقَةَ .. فَأَهْلُ الْحَقِّ دَائِمًا عَلَى  
خَطَرٍ بِسَبَبِ مُعَادَاةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ لَهُمْ .







فَقَدْ قُتِلَ نَبِيُّ اللَّهِ ( يَحْيَى ) بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ يَهُودِيَّةٍ فَاسِقَةٍ هِيَ  
( سَالُومَى ) . لِأَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يُفْتِيَهَا فِي مَسَائِلَ فِقْهِيَّةٍ كَمَا تُرِيدُ ،  
وَأَبَى أَنْ يُحَلِّلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ . . فَكَانَ جَزَاؤُهُ الْقَتْلُ .

وَلَمْ يَمْضِ وَقْتُ طَوِيلٍ عَلَى اسْتِشْهَادِ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ )  
حَتَّى لَحِقَتْ بِهِ أُمُّهُ الْعَظِيمَةُ ( أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ) . . وَالتَّى  
كَانَتْ مَثَلًا يُحْتَذَى فِي الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّضَحِّيَةِ ، مُنْذُ أَنَّ كَانَتْ  
فِي عُمُرِ الزُّهْرِ ، وَحَتَّى وَهِيَ فِي الثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهَا . .

( تَمَّتْ )